



يعرض هذا البحث وجهاً من وجوه الاتجاه الإسلامي والخلقي في النقد العربي القديم، وهو موقف طائفة من النقاد من بعض الشعراء الذين عرفوا ببعض التجاوز واللفو للذين عدا انتهاكا لقيم دينية أو خلقية. وقد هاجم النقاد ما صدر عن هؤلاء من هذا القبيل، واستهجنوه، وأطلقوا - في أحيان غير قليلة - عبارات نقدية قاسية تنم على الاستياء منه ومن قائله.

الموقف الإسلامي والخلقي للنقاد العرب من بعض شعراء السَّفه

والمجون، كشعر ابن الحجاج، وابن سكرة. إنه من أهم الشعر الذي كُتب في اللغة العربية، ومع ذلك فهو مكبوت مغموع كلياً، هؤلاء الشعراء كانوا يحاولون أن يخلقوا ما يمكن أن نسميه بالجنة الأرضية...».

وسنعرض لطائفة من الشعراء القدماء والمولدين الذين شكّلت بعض أشعارهم ضرباً من التجاوز العقدي أو



د. وليد قصاب

الخلقي، وسنرى كيف جابهت طائفة من النقاد هذه النماذج، فاستهجنوها، وثلبت قائلها...

«في العصر الجاهلي»

من شعراء الجاهلية الذين وُصفوا بالتعهر والمجون امرؤ القيس. وعلى تقدمه الفني عند النقاد، وكونه أشعر ثلاثة أو أربعة من الجاهليين، إن لم يكن أشعرهم جميعاً، أنكر عليه مجونه، وعُد من عيوبه وسقطاته.

وإن مما يجدر التنويه به في هذا المقام أن أي ناقد - وإن كان ممن يلتزمون الفصل بين الشعر والدين، أو الشعر والأخلاق، أو ممن يرون أن كفر الشاعر، أو تجاوزه للقيم الدينية لا ينتقصان من مكانته الفنية لا يرضى - في مجال النقد التطبيقي - عن نماذج من هذا القبيل، أو يبدي استحساناً لها مهما كانت قيمتها الفنية والجمالية.

ولم نعرف ناقداً واحداً في تراثنا احتفى بشعر يمثل زندقة، أو كفراً، أو تجاوزاً لقيم العقيدة، أو انتهاكا صارخاً لأخلاق المجتمع، أو عدّ مثل هذه النماذج من القول نماذج رفيعة عظيمة، على نحو ما نجد عند بعض نقاد الحداثة في هذه الأيام، حتى قال قائلهم^(١):

«هنالك شعر أعده شعراء عظيماء سماه بعض النقاد للسخرية والتنقيص من قيمته شعر التهتك والخلاعة

قال المرزباني: «وعيب أيضا على امرئ القيس فجوره وعهره في شعره، كقوله:

ومتلك حبلى قد طرقت....

إذا ما بكى....

وقالوا: هذا معنى فاحش»^(٢).

وكان ابن سلام من قبل قد قسم الشعراء الجاهليين - على أساس ديني خلقي - إلى فريقين:

فريق «يتأله في جاهليته، ويتعفف في شعره، ولا يستبهر بالفواحش، ولا يتحكم في الهجاء»، وفريق

«ينعى على نفسه، ويتعهر. منهم

امرؤ القيس، قال:

ومتلك حبلى....

وقال:

دخلت وقد ألفت....

وقال:

سموت إليها....

ومنهم الأعشى، قال:

فضللت أراها....

وقال:

وأقـررت عيني من

الغنايات....

وقال:

وقد أخرج الكاعب....»^(٣).

وقد نقد كثيرون عهر امرئ القيس وتفحشه في شعره، ولم يسيغوا هذا الضرب من القول المجاف للأخلاق والذوق.

وكان الباقلاني من أفسى النقاد عليه، أطال السخرية منه، والإزراء عليه، وراح يتعقب ما ورد في المعلقة من معان فاحشة، فينقدها بعنف، ويهزأ من قائلها.

قال في نقد بيته:

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له...

«البيت في غاية الفحش، ونهاية من السخف. وأي فائدة في ذكره لعشيقته كيف كان يركب هذه القبائح، ويذهب هذه المذاهب، ويرد هذه الموارد؟ إن هذا ليبيغضه إلى كل من سمع كلامه، ويوجب له المقت. وهو - لو صدق - لكان قبيحا، فكيف يجوز أن يكون كاذبا...»^(٤).

ونقد قوله:

فقلت لها سيري وأرخي زمامه

ولا تبعديني عن جنائك المعلل

فمتلك حبلى....

فقال: «البيت الثاني في الاعتذار

والاستهتار والتهيام، وغير منتظم

مع المعنى الذي قدمه في البيت الأول،

لأن تقديره: لا تبعديني عن نفسك،

فإني أغلب النساء وأخدعن عن

رأيهن، وأفسدهن بالتغازل. وكونه

مفسدة لهن لا يوجب له وصلهن،

وترك إبعادهن إياه، بل يوجب

هجره، والاستخفاف به، لسخفه

ودخوله كل مدخل فاحش، وركوبه

كل مركب فاسد، وفيه من الفحش

والتفحش ما يستنكف الكريم من مثله، ويأنف من

ذكره...»^(٥).

ودعا العلوي الشاعر إلى اجتناب السفه، والتعائن

بالفاحشة، ومثل لذلك بامرئ القيس، فقال: «ينبغي

للشاعر أن يتعفف في شعره، ولا يستبهر بالفواحش،

ولا يتحكم في الهجاء، فإن العلماء ذموا من اعتمد

ذلك، ومن كان يتعهر ولا يتستر، مثل امرئ القيس

في قوله:

ومتلك حبلى...»^(٦).





«في العصر الإسلامي؛

وفي العصر الإسلامي تشبّه الفرزدق - في بعض شعره - بامرئ القيس في التفحش والاستبهار بالقبائح. وعلى تقدمه الفني كذلك

عند النقاد، وعدّه في الطبقة الأولى من الإسلاميين، لم يُرضَ عن مجونه، ولم يُتلقَ عند أحد بالقبول، بل كان موطن انتقاص ونقد، وعرضة للمساءلة، وأوشك ولي الأمر أن يقيم عليه الحد.

ذكر أن الفرزدق أنشد أبياتا عند سليمان بن عبد الملك، وكان منها قوله في النساء العذاري - وهي من فاحش شعره:-

فبتن كأنهن مصرعات...

فقال له سليمان: قد وجب

عليك الحد، ولم يدرأ عنه الحد إلا احتجازه بأن ما قاله من قبيل تسمُّح الشعراء في القول، وغلوهم فيه، على نحو ما وصفهم الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ (٧).

وجعل ابن سلام الفرزدق - فيما مجن فيه واستبهر بالفواحش - على مذهب امرئ القيس، فقال بعد أن تحدث عن عهر الملك الضِّلِيل:

«وكان الفرزدق أقول أهل الإسلام في هذا الفن. قال:

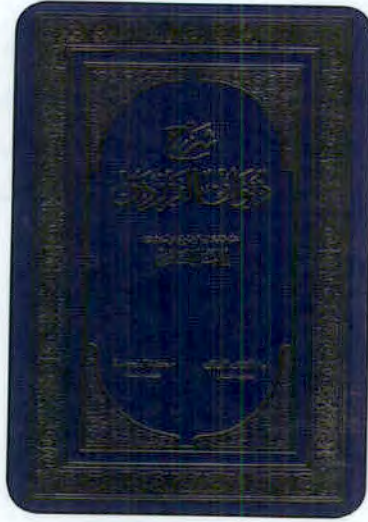
هما دلتاني من ثمانين قامة...

قالها وهو بالمدينة، فأنكرت ذلك قريش، وأزعجه مروان بن الحكم - وهو وال على المدينة - فأجله ثلاثا، ثم أخرجه منها...».

وبعد أن أورد ابن سلام أبياتا من قصيدة الفرزدق السابقة التي أفحش فيها، قارن بينه وبين جرير، فقال: «وكان جرير - مع إفراطه في الهجاء - يعف عن ذكر النساء. كان لا يشبب إلا بامرأة يملكها...» (٨).

وأورد المرزباني - وهو يعدد مآخذ العلماء على الشعراء - كلام ابن سلام على الفرزدق، وأنه يترسم في هذا الفن من القول مراسم امرئ القيس... (٩).

وتعرّض شعر عمر بن أبي ربيعة الذي يذكر فيه مغامراته مع النساء، ويشبب بهن غير محتشم ولا متبرقع، لكثير من النقد، وأثار حفيظة أقوام، منهم الخلفاء، والفقهاء، وغيرهم.



روي أن عبد الملك لقي عمر بالمدينة، فقال له: «لا حياك الله يا فاسق. قال عمر: بسئت تحية ابن العم لابن عمه على طول الشحط، فقال له: يا فاسق، ذلك لأنك أطول قريش صبوة، وأبطؤها توبة. ألسن القائل:

ولولا أن تعنفني قريش

مقال الناصح الأدنى الشفيق

لقلت إذا التقينا: قبليني

ولو كنا على ظهر الطريق

أُغرب...» (١٠).

وأنكر عليه سليمان بن عبد الملك عبثه هذا، وأرسل إليه فعنفه قائلا: ألسن القائل:

وكم من قتيل لا يُبَاء به دم

ومن علق رهنا إذا ضمه مني

وكم مالى عينيه من شيء غيره

إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

فلم أر كالتجمير منظر ناظر

ولا لليالي الجمع أقتلن ذا هوى

قال: نعم.

قال لا جرم. والله لا تحج مع الناس العام، وأخرجه

إلى الطائف حتى قضى الناس حجهم...»^(١١).

ولقي عمر مرة ليلة بنت الحارث البكرية، فقال لها: عرّجي أسمعي ما قلت فيك. قالت: أو فعلت؟ فأنشدها:... فقالت: أملك بتقوى الله، وإيثار طاعته، وترك ما أنت فيه...»^(١٢).

وقالت له مرة: «يا ابن أبي ربيعة لا حتى متى لا تزال سادرا تشبب بالنساء، وتشيد بذكرهن، أما تخاف الله...»^(١٣).

وقال ابن جريج الفقيه في الإزراء على شعر عمر: «ما دخل على العواتق في حجالهم شيء أضر عليهن من شعر عمر بن أبي ربيعة...»^(١٤).

وكان أبو المقوم الأنصاري يقول: «ما عصي الله بشيء كما عصي بشعر عمر بن أبي ربيعة...»^(١٥).

وقال هشام بن عروة: «لا تُروّوا فتياتكم شعر عمر ابن أبي ربيعة، لا يتورطن في الزنا تورطا...»^(١٦).

التجاوزات العقدية والخلقية في شعر المولدين

على أن هذه التجاوزات العقدية والخلقية التي كانت يسيرة في الشعر القديم بدأت تكثر في شعر المولدين، بسبب ما نجم في المجتمع من نزغات جديدة: كالزندقة، والشعوذية، والمجون، والغزل بالذكر، وما عرفه من ازدياد في الترف، والغناء، وتكاثر في الإماء والرقيق، والعنصر الأجنبي الذي حمل كثيرا من الأفكار والقيم والعادات الهجينة..

وأثر عن طائفة من شعراء العصر العباسي بعض هذه التجاوزات التي تمس الدين أو الأخلاق من قريب أو بعيد، كبشار، وأبي نواس، والمتنبي وغيرهم. وعلى مكانة هؤلاء الشعراء الفنية، وإقرار النقاد لهم بالسبق والتبريز، لم تُقبل تجاوزاتهم، ولم تحظ بالاستطراف أو الاستملاح، بل كانت موطن نقد كثير، واستهجان شديد.

وحسبنا الوقوف على نماذج يسيرة من شعر هؤلاء، شكلت اعتداء على القيم الدينية أو الخلقية، وأن نخبر رأي النقد فيها، وموقف النقاد منها.

غضب المهدي لما بلغه قول بشار:

لا يؤيسنك من مخبأة

قول تغلظه وإن جرحا

عسر النساء إلى مياسرة

والصعب يمكن بعدما جمحا

واغتاظ وقال: «يحرص النساء على الفجور، ويسهل السبيل إليه؟

فقال له خالد بن يزيد بن منصور الحميري: يا أمير المؤمنين، قد فتن النساء بشعره، وأي امرأة لا تصبو إلى مثل قوله:

عجبت فطمة من نعمتي لها

وهل يجيد النعت مكفوف البصر..

فأمره المهدي ألا يتغزل...»^(١٧).

وقيل: إن المهدي - وكان غيورا - استنشد هذا الشعر فأنشده إياه، فغضب، وقال له: «أتحض الناس على الفجور، وتقذف المحصنات المخبات، والله





لئن قلت بعد هذا بيتا واحداً من نسيب لآتين على روحك...»^(١٨).

وكان سوار بن عبدالله الأكبر ومالك بن دينار ينكران على بشار عبثه ومجونه في شعره، ويقولان: «ما شيء أدعى لأهل هذه المدينة - البصرة - إلى الفسق من أشعار هذا الأعشى، وما زالا يعظانه...»^(١٩).

وقد يكون مجونه وتفضحه من جملة ما حمل المهدي على قتله^(٢٠)، إذ رأى في هذا الشعر - وقد وعظ صاحبه أكثر من مرة - إفساداً لأخلاق الناشئة، واستبهاراً بالفاحشة، مما ينافي الدين والأخلاق.

وأما أبو نواس فقد قوبل شعره الفاحش بغضب شديد، وإذا لم ينته صاحبه إلى المصير البائس الذي انتهى إليه بشار بن برد فقد كاد.

روي أن الرشيد أوشك أن يقتل أبا نواس لقوله:

«فإن يك باقي سحر فرعون فيكم

فإن عصا موسى بكف خصب

وقال له: «يا ابن اللخناء، أنت المستخف بعصا

موسى نبي الله...»^(٢١).

وقد استهجن ابن قتيبة بعضاً من شعر أبي نواس، وحكم عليه بأنه كفر، أو كالكفر.

قال: «ومما كفر فيه أو قارب قوله:

تعلل بالمنى إذ أنت حي

وبعد الموت من لبن وخمر

حياة، ثم موت ثم بعث

حديث خرافة يا أم عمرو

وقوله في غلام:

نتيج أنوار سمائية..

وأورد المرزباني بعض هذه النماذج وغيرها فيما

أخذه العلماء على أبي نواس، وذكر استقباح النقاد،

ونفرتهم منها.

ونقل عن بعض العلماء قولهم: «قال أبو نواس شيئاً

من الشعر اتهم فيه، لأنه قال قولاً عظيماً لا يتكلم بمثله مسلم، وهو وقوله في محمد الأمين:

تنازع الأحمدان الشبه فاشتبهها

خُلُقاً وخُلُقاً كما قدّ الشراكان

مثلان لا فرق في المعقول بينهما

معناهما واحد والعدة اثنان

ومما أنكر من قوله:

يا أحمد المرتجى في كل نائبة..

قم سيدي نعص جبار السماوات

لأن هذا أعظم جرأة، وأقبح مجاهرة، وأشد

تبغض إلى العزيز الجبار عز وجل أن يقول: «نعص

جبار السماوات» فذكر المعصية مع ذكر الجبار - عز

اسمه - وأنه إياه عنى بالعصيان...»^(٢٢).

ثم قال المرزباني: «قال: وحدثت عن أحمد بن أبي

داود أنه ذكر هذا البيت، فتفرغ له، وجعل يقول: لعنه

الله، لعنه الله! وأحسن ابن أبي داود في لعنه إياه

على هذا الكلام...»^(٢٣).

وهاجم أبو عبيد البكري أبا نواس في قوله:

باح لسانني بمضمر السر

وذلك أني أقول بالدهر

وليس بعد الممات منقلب

وانما الموت بيضة العقر

العقيدة، وفساد المذهب، كقوله:.... ثم يأتي الغاض ليحتمل لأبي نواس قوله...»^(٢٦).

وكأن الجرجاني يقول: إن الناقد المنتصف إما أن يؤخذ الشاعرين كليهما على التجاوز والإفراط، وإما ألا يتخذ من سوء المعتقد معياراً في الحكم على شاعرية الشاعر.

وقسا النقاد على أبي الطيب في انتقاصهم من شعره المتجاوز، ولم يحملهم الإقرار بشاعريته الفذة، وعبقريته المتميزة، على الإعجاب بهذا الضرب من القول، أو السكوت عليه.

ومن هؤلاء النقدة الصاحب بن عباد، إذ كان من جملة مآخذ على أبي الطيب خروجه على الذوق والأخلاق في بعض المعاني، على شاكلة قوله:

«لو استطعت ركبت الناس كلهم»

إلى سعيد بن عبد الله بُعرانا فقال الصاحب مستهجنًا: وفي الناس أمه، فهل ينشط لركوبها؟

وكذلك المدوح لعل له عصبية لا يحب أن يُركبوا إليه. فهل في الأرض أفحش من هذا التسخُّب، وأوضع من هذا التَّبْطُّط؟...

ثم قال الصاحب: «وكانت الشعراء قبله لا تصف المآزر تنزيهاً لألفاظها عما يُستبشع ذكره، حتى تخطئ هذا الشاعر إلى التصريح الذي لا يهتدي إليه غيره، فقال:

إني على شغفي بما في خمرها

لأعف عما في سراويلاتها وكثير من العهر أحسن من عفافه هذا...»^(٢٧).

ومرَّ بنا قبلُ مأخذ ابن بسام على الثعالبي لتساهله في رواية بعض الأشعار التي لا تنفق في ميزان الدين أو الأخلاق، ولكن الثعالبي يبدي أحياناً اعتراضه على ما كان من هذا القبيل، وينصح عن توجه ديني خلقي.

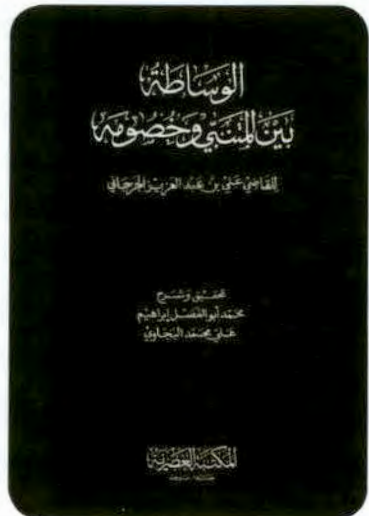
وقال في نقده: «هذا شعر دهري زنديق»^(٢٨).

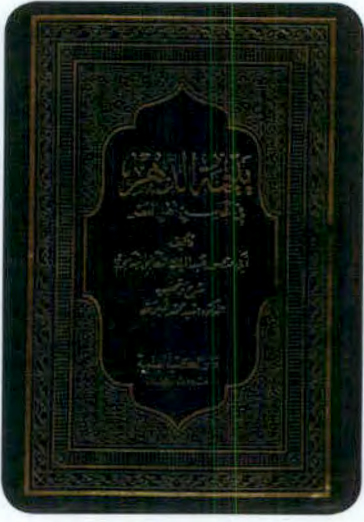
وأفرد مهلهل بن يموت في كتابه «سرفات أبي نواس» باباً سماه «الكفریات» عرض فيه نماذج من شططه، وسوء عقيدته، وعدها من سقطاته وعيوب شعره.

ولو أردنا أن نستقصي مآخذ العلماء على شعر أبي نواس من الناحية الدينية والخلقية، وما تعرض له من النقد الشديد، والانتقاد اللاذع لامتلات صفحات كثيرات، وحسبنا ما وقفنا عليه من بعض النماذج...^(٢٩).

وأما أبو الطيب المنتبّي فلعله من أكثر الشعراء الذين تعرضوا للنقد الديني والخلقي بسبب بعض شعره الذي أفرط فيه، وتسمَّح في القول، فانطوى على تجاوزات عقدية لم تحظ عند أحد من النقاد حتى الذين تعصبوا له، وأفرطوا في تقديمه..

وها هو ذا الجرجاني نفسه - أهم من دافع عن أبي الطيب، وأحد الذين فصلوا - في تقويم الشاعر - بين شعره ومعتقده - لا يستطيع أن يدافع عما أفرط فيه صاحبه، أو يجد وجها مقنعاً في المنافعة عنه، ولا ينجيه من هذه الورطة إلا لجوؤه إلى القياس، فيعجب من ناقد «يفضُّ من شعر المنتبّي لوجود أبيات تدل على ضعف





أورد في اليتيمة طائفة من عيوب شعر المتنبي، منها ما سماه «إساءة الأدب بالأدب» فساق نماذج مما أفحش فيه أبو الطيب، أو تبادأ، أو استعمل ما لا يليق من الألفاظ والعبارات، مجافيا الذوق السليم، والحس الرفيع، على نحو قوله:

**فعدا أسيرا قد بللت ثيابه
بدم، وبلَّ ببوله الأفضاذا**

وقوله:

**خف الله واستر ذا الجمال ببرقع
فإن لُحت حاضت في الخدور العواتق**
وقوله: ... وقوله:....^(٢٨).

كما أورد الثعالبي طائفة من شعر أبي الطيب تمثل إفراطا في القول، أو جرأة على العقيدة، أو لا تعكس - على أخف تقدير - توقيرا وإجلالا كافيين للدين، على نحو قوله:

**ونُصفي الذي يكنى أبا الحسن الهدى
ونُرضي الذي يُسمى الإله ولا يكنى**
وقوله من قصيدة مدح فيها العلوي:

**وأبهر آيات التهامي أنه
أبوكم، وإحدى ما لكم من مناقب**
وقوله:

**تتقاصر الأفهام عن إدراكه
مثل الذي الأفلاك فيه والدنا**
وعلق عليه: «وقد أفرط جدا، لأن الذي الأفلاك فيه والدنا، هو علم الله عز وجل».

وقوله: وقد جاوز حد الإساءة:

**أيُّ محل أرتقي
أيُّ عظيم أتقي**

**وكل ما قد خلق الله
له وما لم يخلق**

**محتقر في همتي
كشمرة في مفرقي**

وعلق عليه قائلا: «قبيح بمن أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو - فيما بينهما - بول وعذرة، أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة...»^(٢٩).

وقد أورد الثعالبي هذه النماذج وغيرها في باب العيوب تحت مسمى «الإيضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين».

وعلى الرغم من أن الرجل - على رأي الجرجاني صاحب الوساطة - لا يرى - عند التقدير الفني لشاعرية الشاعر - دخلا للديانة في ذلك، وهو لا يدخل المعتقد معيارا من معايير تقديم الناقيل أو تأخيرها إلا أنه - عند التطبيق العملي، ومواجهة نماذج من قبيل ما مر - لا يملك الثبات على موقفه، ولا غض الطرف عنها، بل هي عنده مستهجنة مستقبحة، إنها من العيوب التي لا يجوز للشاعر ركوبها لما تفصح عنه من رقة دين، وسوء معتقد.

يقول الثعالبي: «على أن الديانة ليست عارا على الشعراء، ولا سوء الاعتقاد سبب لتأخر الشاعر. ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولاً وفعلًا، ونظماً ونثراً، ومن استهان بأمره، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه فقد باء بغضب من الله تعالى، وتعرض لمقته في وقته، وكثيرا ما قرع المتنبي هذا الباب بمثل قوله:....»^(٣٠).

وقد أطلال ابن وكيع التّيسّي في نقد بعض شعر أبي الطّيب نقدا دينيا وخلقيا، وأخذ كثيرا على تجاوزه، وتسمحه في القول، أورد قوله:

يترشّفن من فمي رشفات...

هَنّ فيه أحلى من التّوحيد

وعلق عليه: « هذه ألفاظ فيها قلة ورع، وامتهان للدين، لا أحب له استعمالها... »^(٣١).

وأورد قوله:

لم يخلق الرحمن مثل محمد

أحدا، وظني أنه لا يخلق

ونقده قائلا: « فمنع وجود مثله في الماضي والمستقبل، فحكم على الغيب... »^(٣٢).

ونقد قوله في المديح:

لو لم تكن من ذا الوري اللذّ منك هوّ

عقمت بمولد نسلها حواء

فقال: « بيت أبي الطّيب فيه تجاوز. فأين به عن الأنبياء والأشراف والصالحين... »^(٣٣).

ونقد ابن وكيع كذلك أبيات أبي الطّيب التي مرت:

أيّ محلّ أرتقي

أيّ عظيم أرتقي..

فقال: « هذه أبيات فيها قلة ورع. احتقر ما خلق الله عز وجل، وقد خلق الأنبياء والملائكة والصالحين، وخلق الجن

والمملوك والجبارين، وهذا يجاوز في العجب الغاية، ويزيد على النهاية، وقد تهاون بما خلق الله وما لم يخلق، فكأنه لا يستعظم شيئا مما خلق الله، وهو من خلق الله عز وجل، الذي جميعه عنده كشعة في مفرقه.

وهذا مما لا أحب إثباته في ديوانه لخروجه عن حد الكبر إلى حد الكفر... »^(٣٤).

وقارن ابن وكيع بين قول أبي الطّيب:

ومال وهبت بلا موعد

وقرّن سبقت إليه الوعيدا

وهو يشبه قوله:

يمضي النايأ دراكا ثم يتبعها

بيضّ العطايا ولم يؤعد ولم يعد

وبين قول ابن الرومي الذي خالفهما:

تعطي الجزيل بلا وعد تقدمه

ولا تعاقب إلا بعد إيعاد

ففضل - من منطلق ديني - قول ابن الرومي. قال: « وكلام ابن الرومي أصح وأرجح، وهو يوافق أدب الله - عز وجل - في أنه لا يعذب إلا بعد إرسال الرسل والنبيين، كما قال: « وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون »^(٣٥).

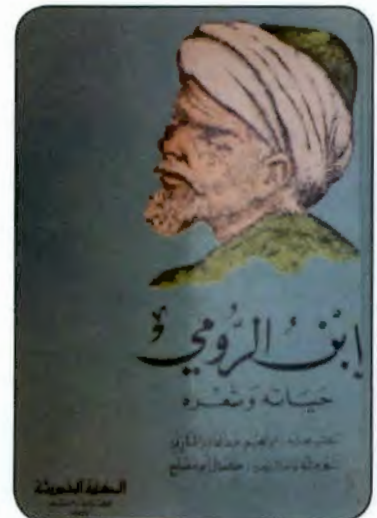
وهكذا أطلال ابن وكيع الاتكاء على المعايير الدينية والخلقية وهو ينقد بعض ما أفرط فيه أبو الطّيب، أو جاوز القصد... »^(٣٦).

واتكأ ابن سيده كذلك على هذه المعايير، فنقد بعض تجاوزات المتنبي، وأخذ عليها. كقوله:

طلبنا رضاه بترك الذي

رضينا له فتركنا السجودا

فقال: « أي رضينا أن نسجد له إذ رأيناه، إكبارا له وإيثارا، إلا أنه لا يريد ذلك، لأن هذا إنما ينبغي لله عز وجل، فطلبنا نحن حينئذ رضاه بتركنا السجود الذي ترصينا له. فقد مدح بدرا هنا بشيئين: أحدهما جلالة





والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذا عفة فلعله لا يظلم
وقوله:

ومن عرف الأيام معرفتي بها

وبالناس، روى رحمه غير راحم
فصربهما على محك الدين والأخلاق، فما وجدتهما
يصدران عن شيء من الصفح والمغفرة اللذين هما
من أخلاق الإسلام، فقال مهجنا:
«هذه الأخلاق أخلاق الفساق، ومن لم يتأدب
بأدب القرآن، ولا استن بسنن الإسلام في الأخذ بالعفو
والصفح والرحمة والرفقة.

وأين قول المتنبي من قول محمود الوراق:

إني وهبت لظالمي ظلمي

وغفرت ذاك له على علمي
ورأيت أسدى إلي يدا...»^(٢٩).

وهجّن ابن قيم الجوزية قول أبي الطيب:

يترشفن من فمي رشقات...

وسماه «العاشق الخبيث» وقال في نقد البيت: «صرح
الخبيث أن وصله أشهى إليه من رحمة ربه...»^(٤٠).
وبعد:

فقد عرض هذا البحث لوجه آخر من وجوه الاتجاه
الديني والخلقي في النقد العربي التطبيقي للشعر،

القدر حتى رأي أهلا للسجود له، والآخر تورع بدر عن هذا
الذي رضيه المتنبي.

قبحا لكلامه! ونهرا في هذا الموضع وأشباهه
لنظامه!...»^(٣٧).

وصدر ابن بسام عن معيار ديني في نقد بعض شعر
المتنبي، وانطوى على نفرة واضحة من إدخال الفلسفة
إلى الشعر والنثر لما يسوق إليه ذلك من إفراط وغلو
قد يصلان إلى الضلال والإلحاد.

أورد قول أبي الطيب:

تبخل أدينا بأرواحنا

على زمن هن من كسبه

فهذه الأرواح من جوّه

وهذه الأجسام من تربه

يموت راعي الضأن في جهله

ميتة جالينوس في طيه

وربما زاد على عمره

وزاد في الأمن على سربه

الذي أخذه من قول أبي غسان المتطّيب:

حكم كأس المنون أن يتساوى

في حماها الغبيّ والألمعيّ

ويحل البليد تحت ثرى الأر

ض كما حل تحتها اللوذعيّ

أصبعا رمة تزايل عنها

فضلها الجوهريّ والعرضيّ

وتلاشى كيائها الحيواني

وأودى تقويمها المنطقيّ

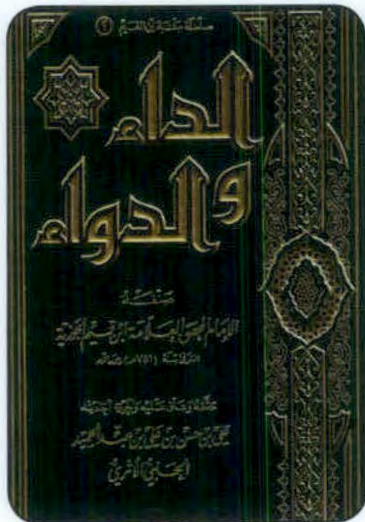
وعلق عليه قائلا: « وهذا كلام من الإلحاد على

غاية الاضمحلال والفساد، فليس تساوي الناس في

الموت والفناء حجة في عدم البقاء والمراتب في دار

الجزاء...»^(٣٨).

وأورد ابن عبد البر قول المتنبي:



إن هؤلاء وأولئك - بدوا وهم يقفون على نماذج مما غلا فيه الشعراء، أو تجاوزوا قيم الدين أو الأخلاق - منكرين مستهجنين، تصدم هذه النماذج حسهم الديني، فلا تشفع مكانة قائلها أن يفضوا الطرف عنها، أو يتقبلوها، بله أن يثنوا عليها أو يستملحوها، وظلت عندهم من عيوب الشاعر وسقطاته، يؤخذ بها، ويسلب من أجلها، وقد تؤخره عند طائفة أو تمنع من الاحتجاج بشعره.

قال أبو عبيدة عن أبي نواس: «لولا تهتكه لفضح جميع الشعراء»^(٤١).

وقال أبو عمرو الشيباني: «لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الرثا لاحتجنا بشعره، لأنه محكم القول»^(٤٢).

وهذا كله يؤكد حضور الاتجاه الديني والخلقي في النقد العربي القديم، وصدور كثير من النقد عنه في الحكم على العمل الأدبي وتقويمه ■

وتلمسه في موقف بعض النقاد القدماء من شعراء عرفوا ببعض التجاوزات الدينية، أو الخلقية.

وقد تجلّى الاتجاه الذي نرصده هاهنا واضحا جليا، إذ أوضح البحث أن طوائف مختلفة من النقاد لم ترض عن هذه التجاوزات، أو تقرأها، أو تستحسنها، أو تر فيها - على نحو ما ترى بعض التوجهات النقدية الحديثة - نقاط تميز وائتلاق.

تباين موقف بعض النقاد بين النظرية والتطبيق، فبدا هذا المنزع الديني والخلقي عند من رأى الشعر نكدا باباه الشر، مجاله دنيوي، يلينه دخوله في أغراض الخير كالأصمعي مثلا، وعند من رأى الشعر بمعزل عن الدين، وسوء المعتقد لا ينتقص من قدر الشاعرية، ولا يمنع الناقد من الإقرار بها كالجرجاني والثعالبي، وعند غير هؤلاء

- | | | |
|---|---|---|
| الهوامش: | (١٤) السابق: ٧٤/١. | (١٤) الإبانة: ص ٢٥٠. |
| (١) أدونيس، انظر في قضايا الشعر العربي المعاصر: ١٥٩. | (١٥) السابق: ٧٦/١. | (٢٨) بيمته الدهر: ١٦٧-١٦٨. |
| (٢) الموشح: ٤٥. | (١٦) السابق: ٧٤/١. | (٢٩) السابق: ١٧٠. |
| (٣) طبقات فحول الشعراء: ٤١-٤٣. | (١٧) زهر الآداب: ٤٣٥. | (٣٠) السابق: ١٦٨. |
| (٤) إعجاز القرآن: ١٦٧. | (١٨) الأغاني: ٢٤١/٣. | (٣١) المنصف: ١٤٦. |
| (٥) إعجاز القرآن: ١٦٧، وذكر نماذج من نقد الأبقلائي لفاحش شعر امرئ القيس في الصفحات: ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩. | (١٩) السابق: ١٨٢/٣. | (٣٢) السابق: ١٧١، وأورد ثمة قصة في السخرية منه. |
| (٦) نضرة الإغريض: ٣٩٤. | (٢٠) انظر طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٥. | (٣٣) السابق: ٤٨٧. |
| (٧) الكشف: ٢٧/٣، وانظر عيون الأخبار: ٢٧/٢. | (٢١) الشعر والشعراء: ٨٠٨، والخصيب: هو الخصيب بن عبد الحميد، أمير مصر، وانظر في غضب الرشيد، وحبيه أبي نواس، الموشح: ٤٢٨. | (٣٤) السابق: ٢٠٣. |
| (٨) طبقات فحول الشعراء: ٤٤-٤٦. | (٢٢) الموشح: ٤١٧. | (٣٥) المنصف: ٤٧٩. |
| (٩) الموشح: ١٥٨-١٥٥. | (٢٣) السابق: ٤١٨. | (٣٦) انظر أمثلة أخرى في المنصف: ١٢٨، ٣٤٦، ٤٦٧.... |
| (١٠) الموشح: ٣١٨. | (٢٤) سمط اللآلئ: ٥٢٣/١. | (٣٧) شرح مشكل شعر المتنبي: ١٠٠. |
| (١١) الموشح: ٣١٩. | (٢٥) انظر نماذج أخرى من النقد الديني والخلقي لشعر أبي نواس، في: رسالة الغفران: ٤٣٤، الموشح: ٤٣٠، ٤٤٣، ٤٠٣، ٤١٥. | (٣٨) الذخيرة، القسم ٢، المجلد ١، ص ٤٨١-٤٨٢. |
| (١٢) الأغاني: ١٥٦/١. | (٢٦) الوساطة: ٦٢-٦٤. | (٣٩) بهجة المجالس: ٣٦٦/١. |
| (١٣) السابق: ١٥٧/١. | (٢٧) الكشف عن مساوي المتنبي (ضمن كتاب | (٤٠) الداء والدواء، ص ١١٢. |
| | | (٤١) ديوان أبي نواس: ١٤. |
| | | (٤٢) طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٠٢. |



هذا أنس يخدمك

(من رسائل أم سليم إلى مسلمة القرن الحادي والعشرين)

فاطمة محمد شنون - سورية

وأما كما شاء لي أن أكون.
كنز جديد أضفته إلى كنوزي
أن كان أبو طلحة بين المبايعين في
العقبة الثانية، وبعدها تحولت
يثر ب كلها إلى حضن حنون
ينضح ولاء وحبا وانتظارا. وراحت
تحتضن كل يوم فوجا من المسلمين
الهاربين بدينهم من بطش
قريش وجبروتها في مكة، وكأنما
أمحى وجه يهود، وأمحت أشباح
التباغض والشحناء بين شطري
المدينة، وتفرغت لتعيش الانتظار
الجميل.. انتظار سيد الخلق.
تقد ضاعت من الذاكرة الأيام
التي سبقت إشراق رسول الله على
يثر ب، وتقلص الزمان، فإذا هو
تلك الأيام المباركات الحفل بمجد
العقل ومجد القلب... ذلك المجد
الذي حمل الخير للإنسانية كلها
من هنا، من مدينة رسول الله.

إلى منجاة تحصن القلوب من
التباغض والشحناء، وكنا على
نحو مبهم نجد في مجالس ابن
عمير الأمن الذي طال شوقنا
إليه. وقد حرصت وزوجي وابني
على الاستماع إلى مقرئ المدينة،
فكان يومي كله تهيئة لتلك الجلسة
التمينة، حيث نخلي الفكر، ونفتح
شغاف القلوب للهدى الجميل.
كنت أتنازل لأبي طلحة عن
قيادة الخطأ، لأمسك خفية بقيادة
الفكر والقلب، كنت فيما بيني
وبين نفسي أدرك أنني أصنعهما:
زوجي بالحب والحدق والرفق،
وولدي بالحكمة والعطف والقدوة،
وكان يلذ لي أن يمارسا فوقيتهما
علي، فينكشف لي جنى ما ألقيته
باسم الله، في تربة آليت أن تكون
جنتي في هذه الحياة الدنيا، ووعده
ربي بجنة الخلد يوم ألقاه زوجة

نشوة لا تمضي أفراح الدنيا
على آثارها أن أعد على أصابعي
من تصلنا أخبار إسلامهم، ولم
تلبث كنوزي أن فاقت الأصابع
عددا، ثم هتن الفيت، ثم انهل،
ثم انسكب، فقد عاد أقمار يثر ب
الاثنا عشر من موسم الحج وقد
بايعوا رسول الله عند العقبة،
يصحبهم فتى مكة الجميل
الجليل مصعب بن عمير، يتلو
علينا كتاب الله، ويعلمنا ديننا.
وراح يتداعى إلى مجلسه كل من
كان له قلب أو ألقى السمع وهو
شاهد، فتزهو في القلوب مروج،
وتشرق في العقول شمس، وتتلاأ
على الشفاء الشهادة الخالدة ما
دامت السماوات والأرض.
كان الناس يهربون من حمى
الفتن والحروب التي دأب يهود
على تسعيرها بين الأوس والخزرج،

أجمل الأوقات



شيخموس العلي - سورية

أجمل الأوقات عندي
حينما أرتاح وحدي
بين أولادي وأهلي
وطموحاتي و زهدي
وقراءاتي وجدّي
و انكساراتي ومدي
و انعزال وهدوء
لا أقاضيه بنقد
كل من قابلت قالوا :
من ذوي الأتباب عندي
إن قتل الوقت في الأسـ
واق : أمر غير مجد
فاتق الرحمن و افهم
- يا أخا الإيمان - قصدي
وانأ عنها تحرّز
سالم من كل قيد

عندما يشعر المرء أنه بعض من نور الحق تكبر يده ويكبر قلبه حتى يتسع لدينا كلها... هكذا بت أحس أن بوسعي أن أحلم بخطوات أكبر وأوسع، خطوات إلى حيث لم أكن أحلم قبل أن يملك عليّ نور الحق قلبي وعقلي.

وعندما حل رسول الله بيثرب، راح يرهقني الإحساس بأنني مدينة لذلك النور الذي أنزل معه، أن حبي وولائي وحدهما لا يشفياني... ورحت أحبو على عتبات تلك الدنيا البديعة المشرعة الأبواب بكل عظمتها وبهاثها، وأحسست أن كل نفائس الدنيا طوع يدي، واستنفر ذلك الإحساس طاقاتي، وأرعى لأحلامي الأعنة، فأتسعت أمامي الدروب، وتوالدت الفلوات بلا نهاية...

- إلى أين يا أم سليم؟

- إلى أقصى غاية الحلم... أريد أن أحقق إنجازا خارقا، أنا صاحبة أغلى مهر في الدنيا، أحلم بخطوة فريدة ترضي تطلع القلب ومناه. وإذا بلغت الإرادة بالمرء أن يكون والمراد، أو لا يكون هو ويكون المراد، فإن معجزة من السماء تلقي المفتاح بين يديه، فيفتح الأبواب إلى مراده، وتختصر به خطاه المسافات كأنها لا تعترف بالممكن والمتاح. وكان المفتاح:

يا رسول الله... هذا أنس، غلام يخدمك!..

يا قلبي الصغير.. أي مجد هذا أي خلود أن تخرج بسنواتك العشر من حجري إلى ملازمة سيد رجال الكون... إلى حيث ينتهي أبعد أشواط الهمة والطموح... إلى حيث يجدر بأمة مسلمة أن توصل ابنها! ■